

## ملامح التجريب في الرواية الجزائرية- نماذج مختارة-

\* أ. فاطمة هرمة

جامعة غرداية، غرداية، الجزائر.

البريد الإلكتروني: fh36@yahoo.com

### ملخص البحث

يعتبر التجريب الروائي رؤية إبداعية وثورة على الرواية التقليدية بكل مكوناتها، كما يعد صورة من صور الحداثة الغربية التي تأثرت بها الثقافة العربية بصفة عامة.

والرواية الجزائرية لم تكن بمعزل عن مواكبة التطور الحاصل على مستوى البنية السردية والمضمون ن فتجلت فيها ملامح التجريب بكل تجلياته من خلال عدة روايات كمملكة الزيوان لحاج أحمد الصديق، نوار اللوز لواسيني الأعرج، ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.... ومنه حاولت في هذه الورقة البحثية الوقوف على واقع الرواية الجزائرية ومفهوم التجريب وكيف تظهرت ملامح التجريب في الرواية الجزائرية؟

### Résumé

l'expérimentation des romanciers est une vision créative et une révolution du roman traditionnel avec toutes ses composantes, ainsi qu'une image de la modernité occidentale influencée par la culture arabe en général. Le roman algérien ne se sépare pas du développement du niveau de la structure et du contenu narratifs: les romans tels que le royaume de Zaywan à Haj Ahmad al-Siddiq, Nawar al-Luz ou le lasini boiteux d'Abdel Hamid ben Haddouka en témoignent. L'article examine la réalité du roman algérien et le concept d'expérimentation et comment les caractéristiques de l'expérimentation ont été montrées dans le roman algérien?

\* المؤلف المرسل: أ. فاطمة هرمة fh36@yahoo.com

مقدمة:

تعد الرواية جنس أدبي يشكل التجربة الإنسانية لكونها قريبة من واقع المجتمع، وهذا القرب جعل منها مادة خصبة للتجريب الذي عد من مظاهر الحداثة، فالروائي المبدع هو من يتجاوز الشكل التقليدي للرواية ويفتح نصه على آفاق تجريبية جديدة.

والرواية الجزائرية شأنها شأن الرواية الغربية والعربية انفتحت على التجريب على يد روائيين حاولوا تطوير الرواية وتقنياتها وعلى رأسهم عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار، واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي وغيرهم ممن كتبوا بطريقة فنية فيها من الإبداع والتداخل والتشكيل اللغوي ما يكسر البنية التقليدية ويتجاوزها ويفتح أفق آخر للمتلقي لكي يكون طرفا فعالا في العمل الأدبي، فرسمت بذلك الرواية الجزائرية مكانة لها ضمن قائمة الروايات التجريبية الحديثة والمعاصرة .

ولكشف ملاحح التجريب في الرواية الجزائرية زاوجت بين المنهج الوصفي التحليلي والمنهج البنوي كون الدراسة تحتاج للجانب الوصفي كما تحتاج للجانب البنوي في دراسة البنى في المتون الروائية.

وشملت الدراسة مايلي:

مقدمة

1- واقع الرواية الجزائرية

2- مفهوم التجريب

3- ملاحح التجريب في النص الروائي الجزائري:

-التجريب على مستوى البنية

-التجريب على مستوى التشكيل اللغوي

-التجريب على مستوى المتخيل السردي

خاتمة

## 1-واقع الرواية الجزائرية:

الرواية فن نثري و"سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى ، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البورجوازية، وما صاحبها من تحرر الفرد من ربة التبعية الشخصية"<sup>(1)</sup>. والرواية الجزائرية كانت نشأتها الواضحة مع عبد الحميد بن هدوقة في روايته ربح الجنوب، حيث حاول من خلالها الكتابة بطريقة فنية تحترم البناء الشكلي والفني للرواية العالمية وكان ذلك عام 1971 التي عالج فيها قضية اجتماعية تتمثل فيما تعانيه المرأة وتمردها على القواعد والعادات والتحرر من القيود، وقد تجلّى التجريب أكثر في رواية الجازية والدرأويش وهذا لا يعنى عدم وجود نص روائي قبل ذلك، فقد كتب أحمد رضا حوحو روايته غادة أم القرى سنة 1951 ، كما نجد رواية الحريق لبوجدرة سنة 1957 إلا أن تلك الكتابات كانت تفتقر لشروط الكتابة في هذا الجنس، كما عد الطاهر وطار أيضا من أعمدة كتاب الرواية من خلال رواياته اللاز والزلال والولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي وغيرها من الروايات التي حاول فيها تجاوز السائد واستشراف المستقبل وتوظيف التراث بمختلف أشكاله في نصوصه السردية بغية الحفاظ عليه وقراءة الحاضر بشوب الماضي " فمع بداية الثمانينات، ونتيجة للتحويلات الاجتماعية، والفكرية التي شهدتها العالم، بدأت الكتابات تتحرر من ربة هذا التوجه سواء من قبل كتاب سبق لهم وأن تاثروا بهذا الاتجاه أو آخرين

أمألوا المرألة الأءفءة بكأ مأمولأها الفأرفة والأمالفة، فرأأوا فأوضون أمار الأأرفب على مسأوى اللغة وأقنفاء الأأابة<sup>(1)</sup>، وهو ما أسءه واسفنف الأعرأ فف نصوصه ، أفا لم أأسقرف نصوصه على شكل واءف فف الأأابة بل كان أائف الأأرفب والأأأ عن آفاق أعبفرفة ألاءم فأرفه ومافسعى إلفه فاشأغل على اللغة وعلى البناء الشألفف، كما أعاء أوظفف الأأا، فأان من رواء الأأرفب فف روافاءه كأرافة سفءة المقام و نوار اللوز أأرفبة صالح بن عامر الزوفرف وروافة اللفلة السابعة بعء الألف..الأ، ومأمء مفلأأ الءف اشأغل على الأأا بمأألف أشكاله فف نصوصه الروائفة، كما اشأغلأ أألام مسأغانمف على اللغة والأأسء فف روافاءها أاكرة الأأسء، فوضى الأواس، الأأسوء فلفق بك ..الأ ، ولا فمكن إأفال الأفل الأءفء من أأاب الروافة وبشفر مفلأ مأمء عبء القاءر ، عبء الوهاب عفساوف هذا الأفل الءف أءاءت أعماله مأافرة أأاما للأفل الءف سبفه كأفل السبعفناف ، إنه أفل لم فعافش ففرة الاسأقال ولا الإفءفولوجفة الاشأراكفة الءف أءء الأعمال الروائفة السابقة هو أفل أأففة إءن مع المأاضف ، أأففة من النأافة الفأرفة والأمالفة والفنفة.

## 2- مفهوم الأأرفب:

### 2-1- لغة:

أء فف لسان العرب لابن منظور: فف ماة أرب: "أرب الرأل أأرفة: أأأره، والأأرفة من المصاءر الأأموعة قال النابغة:

إلى الفوم أء أرفن كل الأأارب

ورجل مجرب: قد بلي ما عنده، ومجرب: قد عرف الأمور وجربها، فهو بالفتح، مضرس قد جربته الأمور وأحكمتها، المجرب: الذي قد جرب في الأمور وعرف ما عنده." (2)

أما الزمخشري في أساس البلاغة فجاء: "رجل مجرب ومجرب: ذو تجارب، قد جرب وجرب" (3) ومنه فالتجريب في اللغة يأخذ معنى مطلق في كل الأمور والعلوم ولم يختص الأمر معين.

## 2-2- اصطلاحا:

مصطلح التجريب أول مظهر في المجال العلمي و"أول من استخدم التجريب في الرواية، الروائي الفرنسي إميل زولا مع ملاحظة أن هذا الكاتب كان متأثرا بالعلوم مما جعله يعتمد في روايته على القواعد العلمية التي اقتبسها من أبحاث العلماء في عصره وقد أصدر إميل زولا أثناء حياته الأدبية بحثا جماليا عنوانه الرواية التجريبية" (4).

والتجريب من مخلفات الحداثة التي تسعى للتمرد والتجديد والتغيير، فهو "أفق كتابه يصدر عن هاجس التجديد الذي لا يتحقق إلا عبر التحرر من أسر السائد، مما يجعله يمثل شكلا من أشكال تكريس حرية المبدع الروائي من خلال ثورته على الأشكال النمطية في الكتابة الروائية" (5)، وهذا يؤدي إلى عدم التوقف عند شكل ومضمون محدد بل تنفتح آفاق التجربة الروائية عند كل كاتب على حسب نظرتة وتجربته التي عاشها والأفق الذي يستشرفه وبالتالي تعدد القراءات وفتح مجالات متعددة للتأويل. "فالذي يمارس التجريب إنما يمارس ثنائية الهدم والبناء ويشارك في ارتياد آفاق لم تكشف بعد" (6).

و"الرواية التجريبية هي رواية الحرية إذ تؤسس قوانينها الذاتية وتنظر لسلطة الخيال وتبني قانون التجاوز المستمر" (7)، فهي دائمة البحث عن أشكال جديدة ترفض الماضي وتستشرف المستقبل.

### 3-ملاحح التجريب في الرواية الجزائرية:

#### 1-على مستوى البنية:

##### -بنية الزمن:

تعددت تقنيات الزمن في رواية مملكة للزيوان لصاحبها الصديق حاج أحمد، حيث كسر خطية الزمن الروائي من خلال المفارقة الزمنية المتمثلة في تقنيتي الاسترجاع والاستباق حيث استدعى فترة السبعينيات والثورة الزراعية التي قلبت البناء المجتمعي في المملكة وحررت الخدم وجعلتهم ملاك للأراضي بعدما كانوا(خماسين) لدى أسيادهم.

استرجع السارد تلك الأحداث في قوله: "... كما ضحت قبيلتنا بوالدي الذي كان غائبا في تجارته يومها، وقهر عمي حمو من لدن أعمامي الكبار، فأعطت للجنة سبختنا الكبيرة ل أمبارك ولد بوجمعة، الذي كان بها خماسا، وذلك كله بهندسة متقنة من عمي الكبير الحاج قدور، غفر الله لنا وله"<sup>(8)</sup>، فتقنية الاسترجاع وضحت لنا أحداثا غيرت مجرى الواقع الاجتماعي وقلبت موازينه ، هو انتقال من مرحلة على مرحلة أخرى تكون فيها المجتمع بطريقة مغاير لما كان عليه، انتهى فيه زمن العبودية في المملكة وتغيرت من خلاله حياة الداعلي ابن الخماس وعائلته "أما أمبارك والد الداعلي وأمه قامو، فلم اعد أراهما في القصر، إلا كما يرى الزائر زائره، واستقلا عنا بصحبة ابنتهما الداعلي استقلالا تاما، وأصبح أمبارك ملاكا لأرض استصلاحية، بعدما كان خماسا عندنا، وتحسن حاله بعد الثورة الزراعية خلال منتصف السبعينات"<sup>(9)</sup>

وقد طرح السارد الاستباق في بدايات الرواية ليكشف لنا مسبقا ومضات تشير لنا بذهاب الزيواني للطالب أيقش (الساحر) شأنه شأن بقية أهل القصر الذين لم يدخلوا المدارس ولم يتعلموا ليبين لنا أن ما رسخته العادات أقوى من الثقافة يقول"والحق يذكر إن الزيواني ظل التردد يركبه كثيرا

في بداية أمره غير ما مرة، غير أن إلحاح الطالب أيقش عليه، في ضرورة زيارة المكان زمن القبولة صيفاً، سوف يمكنه من مراده" (10)

من خلال المفارقات الزمنية استطاع الروائي تعطيل تدفق الزمن وكسر النمط التقليدي المبني على التسلسل الزمني، فالتجريب هنا أحدث جمالية وقطع الرتبة في الحكوي.

#### -بنية الشخصية:

تعد الشخصية من المكونات الفنية المهمة في الرواية ، كما أنها عنصر محوري في كل سرد، تناولها الدارسون والنقاد وأسهبوا في تحديد مفهومها فمنهم من يعتبرها "القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردى، وهي عموده الفقري الذي يتركز عليه" (11)، في حين " شك الشكلاونيون بعكس الكلاسيكيين والرومنتيكيين، في مفهوم الشخصية، وأنكروا ضرورتها، ورفضوا التصور التقليدي الذي يربط بين الشخصية القصصية والشخصية الاجتماعية، ونظروا إليها على أنها كائن لغوي لا وجود له خارج الكلمات، وهي تشبه العلامة اللغوية المكونة من دال ومدلول" (12)، وهذا ما تشكل في الرواية التجريبية حيث صارت الشخصية غير محددة، واعتبرت مسألة لسانية غير محددة الملامح .

ومن خلال رواية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة استطاع الروائي أن يبرز لنا الصراع النفسي الذي تعيشه شخصيته و جل النساء المقهورات في بيئتهن، فسبر لنا أغوار شخصيتها والحوار والصراع الداخلي الذي كانت تعيشه "مهما كانت محنة المرء فإن حرية الاختيار في النهاية تبقى بين الممتحن أي اختيار هذا الذي أنا حرة في تقريره؟ الانتحار؟ ربما يكون حلاً جميلاً. أضع حبلاً في عنقي وأربطه بالسقف، لحظات ألم ثم ينتهي كل ألم. الانتحار فكرة جديدة بالاحترام" (13)، تلك هي الحالة المتأزمة التي تعيشها نفيسة وسط بيئة اجتماعية لاتعترف بالمرأة ككائن لديه حق في العيش والاختيار.

## 2- على مستوى التشكيل اللغوي:

اللغة أداة التعبير والتواصل، ولغة الخطاب الأدبي الحديث والمعاصر تتميز بمقومات وخصائص أسلوبية تخرجها عن النظام المألوف إلى الانزياح والتجاوز والرؤيا والتصوير، واللغة الشعرية هي "كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة" (14)، والخطاب الروائي مزج الشعر في تشكيله اللغوي وهذا ما نجده عند الكاتبة أحلام مستغانمي في روايتها الأسود يليق بك، حيث جاءت لغتها متدفقة فيها من التخييل والتصوير الفني ما يجذب القارئ ويشده، واشتغلت أحلام على جمال الصورة في نصها وخرجت عن المألوف كقولها "كما يأكل القط صغاره، وتأكل الثورة أبنائها يأكل الحب عشاقه، يلتهمهم وهم جالسون إلى مائدته العامرة، فما أولم لهم إلا ليفترسهم لسنوات، يضل العشاق حائرين في أسباب الفراق يتساءلون: من ترى دس لهم السم في تفاعلة الحب، لحظة سعاتهم القصوى؟" (15) فعدم الملائمة الإسنادية والتصوير جعل من النص يخرج عن المألوف، فاللغة الشعرية في الرواية تحمل في طياتها مضامين فكرية ونفسية جسدتها أحلام في شخصيتها البطلة والأحداث التي عايشتها، تلك اللغة التي تشكل لذة النص وتوق المتلقي الدائم لها.

و كانت اللغة العامية حاضرة في النص الروائي التجريبي من خلال الأمثال الشعبية التي " تعتبر صفوة الأقوال وعصارة الأفكار لأجيال سبقتنا عبر التاريخ الإنساني، وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء والحكماء" (16)، ورواية مملكة الزيوان لصاحبها حاج أحمد الصديق حفلت بالأمثال الشعبية والتي عبرت عن بساطة أهل منطقة توات ومستواهم الفكري ولهجتهم العامية التي فيها جمالية خاصة، فكثرا ما وردت أمثال تختصر الكثير من الكلام المختفي بين السطور كقول قائل: "الماء إيلا نكسر في الجنان ما ضاع" (17)، بمعنى الماء إذا ساح في البستان بقصد أو بغير

قصد، ففي كل الأحوال، هو مفيد، وغير ضائع، والمقصود من خلال الرواية قطع الأراضي لن تضيع إذا كتبت باسم الزوجة أو الأخت تهربا من مصادرتها من طرف الدولة .

### 3- على مستوى المتغير السردي:

لقي النص التراثي حضورا في الرواية التحريية كونه يعبر عن ثقافة المجتمع وفكره، فهو عصاره تجارب الأجداد، استلهمه الروائي الجزائري في نصه بطريقة مبتكرة فيها من الإبداع ما يجعلك لاتفرق بين النص الحاضر والغائب ، مما أعطى جمالية لتلك النصوص، والروائي واسيني الأعرج كان من بين الروائيين الذين استخدموا التراث الشعبي المتمثل في سيرة بني هلال في نصه الروائي نوار اللوز، حيث وظفها توظيفا يتعد عن المحاكاة ، والتمسك بالهوية والتاريخ من خلال النصوص التراثية المحلية والعربية بدل توظيف التراث الغربي الذي لا يتفق مع معتقداتنا ولا ثقافتنا، فكانت شخصية صالح الزوفري كآخر سلالة من بني هلال الذي تغيرت شخصيته من مجاهد إلى مهرب .

وكان لزيارة الأضرحة والتبرك بها نصيب في رواية سيد الخراب لكمال قرقور، تعبيرا عن تلك الطقوس المتوارثة والتي يعتقد بها أصحابها أن أولئك الأولياء لهم قدرة خارقة على تغيير المصائر والأقدار، فالزواج والعقم والطلاق ... كلها أمور يلتجأ فيها لهم يقول السارد " يقال أن المرأة العزباء كانت تذهب للقبة لتتبرك وتمسح على وجهها بقطع القماش الأخضر وتدور، سبع دورات حول قبر الولي الصالح، بعد أن تلقي عليه السلام وتقبله وهي خاشعة، يرزقها زوجها صالحا بإذن الله ..."(18) ، هي طقوس وعادات لاتزال سائرة في بعض المجتمعات مترسخة في أذهانهم نتيجة التفكير الساذج والبسيط ، وهي تعكس التخلف والمستوى الثقافي الضحل.

خاتمة:

خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

- ✓ التجرب مصطلح انتقل من المجال العلمي للأدبي، ويعد من ما أفرزته الحداثة الباحثة على التجديد والتمرد.
- ✓ طرق مجال التجرب روائيون جزائريون كثر من الاستقلال إلى وقتنا الحالي، وكل حاول التجديد على حسب رؤيته الفكرية أو الثقافية فالأجيال تختلف وتختلف معها الأوضاع الاجتماعية والسياسية وكذا طريقة الإبداع.
- ✓ شمل التجرب في النص الروائي الجزائري بنية الزمن من خلال كسر خطية الزمن من خلال المفارقات وغيرها فلم تعد الرواية التجريبية تعتمد الترتيب الزمني التقليدي .
- ✓ بالنسبة للشخصية في الرواية التجريبية هي شخصية غير ثابتة ولا مستقرة شخصية تبحث عن الخلاص وتجلي ذلك في رواية ربح الجنوب، كما اعتمد فيها الحوار الداخلي الذي يترك القارئ يغوص في أعماق الشخصية.
- ✓ التشكيل اللغوي في الرواية التجريبية اعتمد على اللغة الشعرية القائمة على التجاوز والتخطي وتجلي ذلك بصورة واضحة في روايات أحلام مستغانمي وواسيني الأعرج، كما كان للعامية حضور في جل الروايات الجزائرية الحديثة والمعاصرة، لأجل إضفاء واقعية أكثر على تلك النصوص ، إضافة إلى التهجين اللغوي وتمازج اللغات.

✓ كما حفل النص الروائي بالتراث بمختلف أشكاله، فاعتمدوا التراث الشعبي والتناس بطريفة إبداعية بعيدة عن المحاكاة مما فتح أفاق تعبيرية جديدة.

### الهوامش:

- 1- عبد القادر بن سالم، مكونات السرد القصصي الجزائري الجديد-بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2002، ص: 25.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، مادة: ورت، ج 15، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، د ت ط، ص: 15.
- 3- الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، ص: 129.
- 4- شوقي بدر يوسف، غواية الرواية دراسات في الرواية العربية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 2008، ص: 75-76.
- 5- بن جمعة بوشوشة، التجريب ارتحالات السرد الروائي المغربي، المغاربة للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2003، ص: 23.
- 6- عمر حفيظ، التجريب في كتابات إبراهيم الدرغوتي القصصية والروائية، المطبعة المغربية للطباعة والنشر، دط، 1999، ص: 19.
- 7- محمد الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص: 257.

- 8- الصدفق حاج أحمء، مملكة الزفوان، ففسترا للنشر، الجزائر، ءط، 2013، ص: 167
- 9- نفسه، ص: 26
- 10- نفسه، ص: 16
- 11—جمفلة قفسمون، الشخصفة فف القصة- مجلة العلوم الإنسانفة، قسم الأءب العربف، جامعة منتورف، قسنطفنة، الجزائر، ءط، 2006، ص: 195.
- 12- عفلف عبء الرحمام ففناح، فقفنفاء بناء الشخصفة فف روافة ءرءة فوق النفل، مجلة الآءاب، قسم اللغة العربفة، جامعة صلاح الءفن، ع: 102، ص: 46.
- 13- عبء الحمفء بن هءوقة، رفح الجنوب، الشركة الوطنفة للنشر والفوزفع، الجزائر، ط2، 1975، ص: 280.
- 14- جون كوفن، بناء لغة الشعر، تر: أحمء ءروفش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ءط، ءت ط، ص: 24.
- 15- أءلام مسفغانمف، الأسود فلفق بك، ءار نوفل، بفروت، ءط، 2012، ص: 11.
- 16- فنفظر: رابح آءوسف، موسوعة الأمفال الجزائرففة، ءار الحضارة، الجزائر، ءط، ءت ط، ص: 05
- 17- الصدفق حاج أحمء، م س، ص: 167.
- 18- كمال قرقور، روافة سفء الآراب، ففسفرفا للنشر، الجزائر، ءط، 2010، ص: 74.